بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 6 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:25\10\2022 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال الكلام في لفظة الإنسان الواردة في الآية الأولى ﴿هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ واتضح لدينا في البحث السابق من خلال استعراض كلمات المفسرين أنه في تحديد هذه اللفظة يوجد قولان:

القول الأول: مشهور علماء العامة وهو أن المراد من الإنسان هو آدم، فتكون الألف واللام في الإنسان للإشارة إلى معبود، فتكون للعهد.

والقول الآخر: ما اختاره العلامة الطباطبائي رحمه الله واختاره الفخر الرازي من العامة، وهو أن المقصود من الألف واللام في الإنسان الجنس، من دون أن تختص بفرد معين.

لكن هذا البحث -للأسف الشديد- لم يعط حقه في كتب التفسير، وعرفنا أن كلا الطائفتين تمسكوا بالآية الثانية ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ﴾ فجعلت الآية الثانية قرينة على كلا القولين.

وإذا أردنا أن نوسع هذا البحث، فنقول، القول الأول عليه شاهدان:

الشاهد الأول: ما ذكره مفسرو العامة، وهو إذا حملنا الإنسان في الآية الأولى على آدم عليه السلام والإنسان في الآية الثانية على أبنائه، فتكون الآيتان قد استوعبتا تمام أفراد الإنسان. فالباري وتعالى بدأ بآدم عليه السلام ثم عمم على ذريته بهاتين الآيتين، فبينهما كمال الانسجام. والروايات التي ذكروها روايات مقطوعة -ليست عن النبي صلى الله عليه وآله- عن صحابي فلان، عن تابعي فلان، فهذه لا أثر لها.

الشاهد الثاني[1]: لو أريد من الإنسان في الآية الأولى عين ما أريد من الإنسان في الآية الثانية كان مقتضى الصناعة أنه في الآية الثانية يقال: إنا خلقناه، لا إنا خلقنا الإنسان، فالمفروض تقدم ذكره، فإذا تقدم ذكره مقتضى الصناعة أن تأتي بالضمير لا أن تأتي بالاسم الظاهر.

فلو أريد من اللام في الإنسان الأول الجنس واللام في الإنسان الثاني الجنس، فهذا يعني أن المعنى فيهما واحد، فكان ينبغي أن نقول هل أتى على الإنسان في الآية الأولى، ثم في الآية الثانية نقول إنا خلقناه من نطفة.

وهذا الإشكال لا يرد لو أردنا من الإنسان الأول آدم ومن الإنسان الثاني سائر بني البشر؛ لان المعنى ليس واحداً كي نأتي بالضمير.

فإذاً الإتيان وتكرار الإنسان باسم ظاهر قرينة تشهد على التفسير الذي ذهب إليه العامة، فلم أجد أحد منهم استشهد بهذا الشاهد، ولم أجد أحد من المفسرين أجاب عن هذا الشاهد أو على الأقل بين لماذا لم تقل الآية الثانية إنا خلقناهم، كما قالت الآية الثالثة فتقول إنا هديناه، ولم تقل إنا هدينا الإنسان.

أما القول الثاني فيمكن أن نذكر له شواهد:

الشاهد الأول: الذي توافق عليه العلامة الطباطبائي رحمه الله والفخر الرازي، الإنسان الثاني قرينة على الإنسان الأول، وبما أن اللام في الإنسان الثاني ليس للمعهود، ولا ترجع إلى آدم، فالإنسان الأول إذاً لا يراد منه خصوص آدم عليه السلام. فهذا الشاهد متضارب مع الشاهد الأول.

الشاهد الثاني: ما أشرت إليه في البحث السابق، بأننا ما زلنا في مطلع السورة، أول السورة ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ استعمال الألف واللام التي للعهد، فالعهد تعيين، والتعيين بحاجة إلى قرينة، ففي مطلع الآية الذي يناسب هو الجنس.

الشاهد الثالث: إذا رجعنا إلى الترابط السياقي في هذا المقطع الأول من السورة نجد أنه يشهد للقول الثاني؛ وذلك لأن الباري تبارك وتعالى في ابتداء هذه السورة بين نعمتين على الإنسان:

---

[1] وهي أقوى من الأولى، ولم يذكروها فأتبرع بها لهم.

النعمة الأولى: نعمة الخلق ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسانَ﴾ وتزداد أهمية هذه النعمة، خلقناه بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً، ابتدعناه من لا شيء.

النعمة الثانية: نعمة الهداية.

فالنعمة الأولى تدلل على احتياج الإنسان وفقره، بعد أن جاء بالآية الأولى أنه لم يكن شيئاً مذكوراً، فكان مسبوقاً بالعدم، فهو حادث، وكل حادث يحتاج إلى مؤثر وإلى محدث، فجاءت نعمة الخلق، فخلقه ولم يتركه، بل هداه، وبين له طريق الحق وبين له طريق الباطل.

وعلى أساس هاتين النعمتين انقسم الخلق إلى طائفتين، طائفة كفرت بأنعم الله، فكان جزاؤها جهنم وبئس المصير. وطائفة آمنت بأنعم الله فكانت من الأبرار، فكان مقرها دار الخلد.

هذا المضمون السياقي، وهذه النعمة الإلهية تتناسب مع ذات الإنسان، لا مع إنسان بعينه، فلا حاجة إلى ذكر آدم بخصوصه، وإنما هي نعمة عامة على كل البشر.

وهذا هو القول الذي نختاره، ولكن الإشكال القوي لماذا لم يضمر في الآية الثانية؟ أي: لماذا لم يقل إنا خلقناه؟

هذا الأمر يمكن أن يجاب عنه بما ثبت في علوم البلاغة، من أنه يجوز للبليغ أن يأتي بالاسم الظاهر مكان الضمير؛ لنكتة بلاغية، كقول الشاعر:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكنّ أم ليلى من البشر[2]

الحق كان ينبغي أن يقول ليلاي منكن أم هي من البشر، قال ليلاي منكن أم ليلى من البشر. أو كقولنا الدائم اللهم صل على محمد وآل محمد، فلا نقول وآله، فنضع الاسم الظاهر مكان الضمير، فهذا شائع لنكات متعددة. بل هو شائع في القرآن الكريم، كقوله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحيمٌ﴾[3] باعتبار أنه تقدم (ثم إن ربك) فكان

[2] كتاب علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ص324
[3] النحل 110

ينبغي أن يأتي بالضمير، فكرره، فنكتته في هذه الآية لطول الفاصل، فعندما يطول الفصل بين الضمير ومرجعه نكرر الاسم الظاهر.

بل أكثر من ذلك، وهذه الآية التي سوف اذكرها هي التي تحسم النزاع، قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسانُ أَإِذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا* أَوَلا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾[4] هذا من قبيل ما نحن فيه، فآدم لا يقول هذا الأمر ولا ينكر البعث، بل الإنسان بطبعه ﴿كَلاَّ إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى* أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى﴾[5] الإنسان بطبعه يتكلم بهذا اللسان.

فلم تأت الآية بالضمير، وفي الآية الثانية لم يؤت بالضمير. فإذاً هذا أمر شائع، بل تكرر في القرآن الكريم، وفي كلمات البلغاء من العرب، فلطول الفاصل في سورة الإنسان ﴿هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ ففصلت سبع كلمات فجاءت الآية الثانية بكلمتين، فالذهن لا يذهب سريعاً بالضمير، فلطول الفاصل أكد عليه حتى يستقر ذلك في الذهن ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ﴾ وبعد استقراره جاءت الآية الثالثة ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ﴾ فصار المقام مقام الإتيان بالضمير بعد استقراره في الذهن.

---

[4] مريم 66-67
[5] العلق 6-7